ابن الكلبي (هشام بن محمد)

عبد مناف

أخبرنا هشام بن محمد السائب الكلبي عن أبيه قال: لما هلك قصي بن كلاب قام عبدمناف بن قصي على أمر قصي بعده، وأمر قريش إليه، اختط بمكة رباعاً بعد الذي كان قصي قطع لقومه، وعلى عبدمناف اقتصر رسول الله ﷺ حين انزل الله تبارك وتعالى عليه، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾.

أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: ولد عبدمناف بن قصي ستة نفر وست نسوة، المطلب بن عبد مناف وكان أكبرهم وهو الذي عقد الحلف لقريش من النجاشي في متجرها إلى أرضه، وهاشم بن عبد مناف واسمه عمرو وهو الذي عقد الحلف لقريش من هرقل لأن تختلف إلى الشام آمنة، وعبدشمس بن عبدمناف وأمهم عاتكة الكبرى بنت مرة بن هلال بن فالج ابن ثعلبة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر، ونوفل بن عبد مناف وهو الذي عقد الحلف لقريش من كسرى إلى العراق، وأبا عمرو بن عبد مناف وأبا عبيد درج وأمهم واقدة بنت أبي عدي وهو عامر بن عبد نهم بن زيد بن مازن بن صعصعة، وريطة بنت عبد مناف ولدت بني هلال بن مُعيط من بني كنانة بن خزيمة وأمها الثقفية.

(ابن سعد، الطبقات ص ١ ج١ ص٤٢-٣)

نسب النبي

اخبرنا هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي قال: علمني أبي وأنا غلام نسب النبي محمد ﷺ الطيب المبارك بن عبدالله بن عبدالمطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قُصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وإلى فهر جماع قريش، وما كان فوق فهر فليس يقال له قريشي يقال له كناني وهو فهر بن مالك ابن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عمرو بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال هشام [وأخبرني مخبر عن أبي ولم أسمعه منه] أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أود بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن يوز بن قموال بن أبي بن العوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن تدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخي بن عيفي بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربي بن نحزن بن يلحن بن ارعوى بن عيفي بن ديشان بن عيصر بن أفناد بن أبهام بن مُقصى بن ناحث بن زارح بن مشمى بن مزي بن عوص بن عرام بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ﷺ.

أخبرنا هشام بن محمد قال: وكان رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب من مُسلمة بني إسرائيل قد قرأ من كتبهم وعلم علمهم فذكر أن بورخ بن ناريا كاتب أرميا أثبت نسب معد بن عدنان عنده ووضعه في كتبه وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب وعلمائهم مثبت في أسفارهم وهو مقارب لهذه الأسماء، ولعل خلاف مما بينهم من قبل اللغة لأن هذه الأسماء ترجمت من العبرانية.

(ابن سعد، الطبقات ق١ ج١ ص٢٨-٩)

وثائق

وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال: «إني كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها.».

(الطبري، الطبعة الحسينية، ج ٢ ص ٣٧)

الحيرة والأنبار وما حوالي ذلك

فحدثت عن هشام بن محمد قال: لما مات بختنصر انضم الذي كان أسكنهم الحيرة من العرب حين أمر بقتالهم إلى أهل الأنبار وبقيت الحيرة خراباً فغبروا بذلك زماناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ولا يقدم عليهم قادم، وبالأنبار أهلها ومن انضم إليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب من بني إسماعيل وبني معد بن عدنان، فلما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ملؤوا بلادهم من تهامة وما يليهم فرقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين وبها جماعة من الأزد كانوا نزلوها... فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب فتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التوازر والتناصر فصاروا يداً واحدة على الناس وضمهم اسم تنوخ فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر. قال: وتنخ عليهم بطون من نمارة بن لخم، قال: ودعا مالك بن زهير جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي إلى التنوخ معه وزوجه أخته لميس بنة زهير فتنخ جذيمة بن مالك وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزد فصار مالك

وعمرو ابنا فهم والأزد حلفاء دون سائر تنوخ، كلمة تنوخ كلها واحدة. وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر وفرق البلدان بينهم عند قتله دارا بن دارا ملك فارس إلى أن ظهر آردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف وقهرهم ودان له الناس وضبط له الملك. قال: وإنما سموا ملوك الطوائف لأن كل ملك منهم كان ملكه قليلاً من الأرض إنما هي قصور وأبيات وحولها خندق وعدوه قريب منه له من الأرض مثل ذلك ونحوه يغير أحدهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة.

قال: فتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق وطمعوا في غلبة الأعاجم على مايلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فأجمع رؤساؤهم بالمسير إلى العراق ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك، فكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلاط من الناس فوجدوا الأرمانيين الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل يقاتلون الأردوانيين، وهم ملوك الطوائف و هم فيما بين (نفر) وهي قرية من سواد العراق إلى الأبلة وأطراف البادية فلم تدن لهم فدفعوهم عن بلادهم. قال: وكان يقال لعاد: إرم فلما هلكت قيل لثمود: إرم ثم سموا الأرمانيين، وهم بقايا إرم وهم نبط السواد ويقال لدمشق: إرم. قال: فارتفعوا عن سواد العراق فصاروا أشلاء بعد في عرب الأنبار وعرب الحيرة منهم أشلاء قنص بن معد وإليهم ينسب عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة وعمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عُمم بن نمارة بن لخم، وهذا قول مضر

وحماد الراوية وهو باطل ولم يأت في قنص بن معد شيء أثبت من قول جبير ابن مُطعم إن النعمان كان من ولده.

قال: وإنما سميت الأنبار أنباراً لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام وكانت تسمى الأهراء لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها.

ونزل كثير من تنوخ الأنباراً والحيرة وما بين الحيرة إلى طف الفرات وغربيه إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظال والأخبية لا يسكنون بيوت المدر ولا يجامعون أهلها فيها، واتصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة وكانوا يسمون عرب الضاحية. فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فهم وكان منزله مما يلي الأنبار، ثم مات مالك فملك من بعده أخوه عمرو بن فهم، ثم هلك عمرو بن فهم فملك من بعده جذيمة بن الأبرش بن مالك بن فهم ابن غانم بن دوس الأزدي. قال ابن الكلبي: دوس بن عدنان بن عبدالله.. (ويوصل نسبه إلى سبأ). قال ابن الكلبي: ويقال: إن جذيمة الأبرش من العاربة الأولى من بني وبار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح. قال: وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مُغاراً وأشدهم نكاية وأظهرهم حزماً وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وضم إليه العرب وغزا بالجيوش، وكان به برص فكنَّت العرب عنه وهابت العرب أن تسميه به وتنسبه إليه إعظاماً له فقيل: جذيمة الوضاح وجذيمة الأبرش، وكانت منازله فيما بين الحيرة والأنبار وبقة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر إلى الغمير والقطقطانة وخفية وما والاها وتجبى إليه الأموال وتفد إليه الوفود. وكان غزا طسماً وجديساً في منازلهم... وكانت طسم وجديس يتكلمون بالعربية فأصاب

حسان بن تبع أسعد أبي كرب قد أغار على طسم وجديس باليمامة فانكفأ جذيمة راجعاً بمن معه وأتت خيول تبع على سرية لجذيمة فاجتاحتها وبلغ جذيمة خبرهم فقال جذيمة :

ربما أوفيتُ في علم ... ترفعن بُردي شمالات
في فُتُوّ أنا كالئهم ... في بلايا غزوة باتوا
ثم أبنا غانمي نعم ... وأناس بعدنا ماتوا
نحن كنا في ممرهم ... إذ ممر القوم خُوَّات
ليت شعري ما أماتهم ... نحن أولجنا وهم باتوا
ولنا كانوا ونحن إذا ... قال منا قائل صاتوا
ولنا البيد البعاد التي ... أهلها السودان أشتات
ثبوة الأخيار شاهدة ... ذاكم قومي وأولات
قد شربت الخمر وسطهم ... ناعماً في غير أصوات
فعلى من كان من كرم ... فستبكني بُنيّاتُ
أنا رب الناس كلهم ... غير ربي الكافت الفاتُ

يعني بالكافت الذي يكفت أرواحهم، والفات الذي يفتهم أنفسهم يعني الله عز وجل. قال ابن الكلبي: ثلاثة أبيات منها حق والبقية باطل. قال وفي مغازيه وغاراته على الأمم الخالية من العاربة الأولى يقول الشاعر في الجاهلية :

أضحى جذيمة في يبرين منزله ... قد حاز ما جمعت في دهرها عادُ

فكان جذيمة قد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين يقال لهما : الضيزنان، قال :

ومكان الضيزنين بالحيرة معروف، وكان يستسقي بهما ويستنصر بهما على العدو. وكانت إياد بعين أباغ، وأباغ رجل من العماليق بتلك العين فكان يغازيهم، فذكر لجذيمة غلام من لخم في أخواله من إياد يقال له عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم له جمال وظرف فغزاهم جذيمة فبعث إياد قوماً فسقوا سدنة الصنمين الخمر وسرقوا الصنمين فأصبحا في إياد فبعث إلى جذيمة أن صنميك أصبحا فينا زهداً فيك ورغبة فينا فإن أوثقت لنا أن لا تغزونا رددناهما إليك، قال: وعدي بن نصر تدفعونه إلي، فدفعوه إليه مع الصنمين فانصرف عنهم وضم عدياً إلى نفسه وولاه شرابه فأبصرته رقاش بنة مالك أخت جذيمة فعشقته وراسلته وقالت: يا عدي اخطبني إلى الملك فإن لك حسباً وموضعاً، فقال: لا أجترئ على كلامه في ذلك ولا أطمع في أن يزوجنيك، قالت: إذا جلس على شرابه وحضر ندماؤه فاسقه صرفاً واسق القوم مزاجاً فإذا أخذت الخمرة فيه فاخطبني إليه فإنه لن يردك ولن يمتنع منك فإذا زوجك فأشهد القوم، ففعل الفتى ما أمرته به فلما أخذت الخمرة مأخذها خطبها إليه فأملكه إياها فانصرف إليها فأعرس بها من ليلته وأصبح مضرجاً بالخلوق، فقال له جذيمة -وأنكر ما رأى به-: ما هذه الآثار يا عدي؟ قال: آثار العرس، قال: أي عرس؟ قال: عرس رقاش، قال: من زوجكها ويحك؟ قال: زوجنيها الملك، فضرب جذيمة بيده على جبهته وأكب على الأرض ندامة وتلهفاً وخرج عدي على وجهه هارباً فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر، وأرسل إليها جذيمة فقال:

حدثيني وأنت لا تكذبيني ... أبحرّ زنيت أم بهجين

أم بعبد فأنت أهل لعبد ... أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت: لا بل أنت زوجتني امرأ عربياً معروفاً حسيباً ولم تستأمرني في نفسي ولم أكن مالكة لأمري، فكف عنها وعرف عذرها.

ورجع عدي بن نصر إلى إياد فكان فيهم، فخرج ذات يوم مع فتية متصيدين فرمى به فتى منهم من لهب فيما بين جبلين فتنكس فمات. واشتملت رقاش على حبل فولدت غلاماً فسمته عمراً ووشمته حتى إذا ترعرع عطرته وألبسته وحلته وأزارته خاله جذيمة فلما رآه أعجب به وألقيت عليه منه مقة ومحبة فكان يختلف مع ولده ويكون معهم، فخرج جذيمة مُبتدياً بأهله وولده في سنة خصبة مكلئة فضربت له أبنية في روضة ذات زهرة وغُدر، وخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة، فكانوا إذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها وإذا أصابها عمرو خبأها في حجزته فانصرفوا إلى جذيمة يتعادون وعمرو يقول:

هذا جناي وخيارهُ فيه إذ كل جان يدُه إلى فيه

فضمه جذيمة إليه والتزمه وسر بقوله وفعله وأمر فجعل له حلي من فضة وطوق فكان أول عربي ألبس طوقاً فكان يسمى عمرو ذا الطوق.

(الطبري، المطبعة الحسينية، ج ٢ ص ٢٧-٣٠)

أصنام قريش في الكعبة وحولها

وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وكان أعظمها عندهم هُبل. وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب. وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضر، وكان يقال له: هُبل خزيمة.

وكان في جوف الكعبة قُدامه سبعة أقدح مكتوب في أولها «صريح» والآخر

«مُلصق» فإذا شكوا في مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح، فإن خرج «صريح» ألحقوه وإن خرج «مُلصق» دفعوه. وقدح على الميت وقدح على النكاح، وثلاثة لم تُفسر لي على ما كانت. فاذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه. وعنده ضرب عبدالمطلب على ابنه عبدالله [والد النبي ﷺ]. وهو الذي يقول له أبو سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد: اعلُ هبل، أي علا دينك، فقال رسول الله ﷺ: الله أعلى وأجل.

وكان لهم إساف ونائلة، لما مُسخا حجرين وضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما، فلما طال مكثُهما وعُبدت الأصنام عُبدا معها. وكان أحدُهما بلصق الكعبة، والآخر في موضع زمزم، فنقلت قريش الذي كان بلصق الكعبة إلى الآخر. فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما.

فلهما يقول أبو طالب [وهو يحلف بهما، حين تحالفت قريش على بني هاشم في أمر النبي عليه السلام]:

أحضرت عند البيت رهطي ومعشري ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل

وحيثُ ينيخ الأشعرون ركابهم ... بمُفضي السيول من إساف ونائل

(قال: والوصائل البرُود)

ولإساف يقول بشر بن أبي خازم [الأسدي]:

عليه الطير ما يدنون منه ... مقامات العوارك من إساف

وقد كانت العرب تُسمى بأسماء يعبدونها، لا أدري أعَبَّدوها للأصنام أم لا، منها: «عبدُ ياليل» و«عبد غنم» و «عبد كلال» و «عبد رُضى».

وذكر بعض الرواة أن رُضى كان بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة فهدمه المستوغر [وهو عمر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة. وإنما سمي المستوغر لأنه قال:

ينُشّ الماء في الرَّبلات منهـــا نشيش الرضف في اللبن الوغير

قال: الوغير الحار].

وقال: المستوغر في كسره رُضى في الإسلام، فقال:

ولقد شددت على رُضاء شدة فتركتها تلاً تنازع أســحما

ودعوتُ عبدالله في مكروهها ولمثل عبدالله يغشى المحرما

وقال ابن أدهم (رجل من بني عامر بن عوف من كلب):

ولقد لقيتُ فوارساً من قومنا غنظوك غنظ جرادة العيـار

ولقد رأيتُ مكانهم فكرهتهم ككـراهة الخنزيـر للإيغـار

[قال: الإيغارُ الماء الحار. والعيار رجل من كلب وقع في غداة قرة على جراد وكان أثرم فجعل يأكل الجراد، فخرجت واحدة من ثرمته فقال: هذه والله حية! (يعني لم تمت). وغنظوك: دفعوك دفع الجرادة العيار].

فلما ظهر رسول الله ﷺ يوم فتح مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعنُ بسية قوسه في عيونها ووجوهها ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، ثم أمر بها فكفئت على وجوهها، ثم أخرجت من المسجد فحُرقت.

فقال في ذلك راشد بن عبدالله السلمي:

قالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا ... يأبي الإلهُ عليك والإســـلام
أوما رأيـت محمــداً وقبيلـــــهُ ... بالفتح حين تكســـر الأصنام
لرأيت نور الله أضحى ساطعـــــاً ... والشرك يغشى وجهُه الإظلام

قال: وكان لهم أيضاً «مناف»، فبه كانت تسمى قريش «عبد مناف»، ولا أدري أين كان ولا من نصبه. ولم تكن الحيضُ من النساء تدنو من أصنامهم ولا تمسحُ بها، إنما كانت تقف ناحية منها.

ففي ذلك يقول بلعاء بن قيس بن عبدالله بن يعمر، وهو الشدّاخ الليثي، وكان أبرصاً، (قال هشام بن محمد أبو المنذر: وحدثني خالد بن سعيد بن العاص عن أبيه قال: قيل له: ما هذا يا بلعاء! قال: هذا سيف الله جلاهُ):

[تركت ابن الحريز على ذمام ... وصحبته تلوذ به العــوافي
ولم يصرف صدور الخيل إلا ... صوايح من أياتيم ضعاف]
وقرن قد تركتُ الطير منـــه ... كمُعتنز العوارك من منــاف

(قال: المعتنز المتنحي في ناحية)

قال: وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا أقدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً.

فلما بعث الله نبيه وأتاهم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، يعنون الأصنام.

واشتهر العرب في عبادة الأصنام فمنهم من اتخذ بيتاً ومنهم من اتخذ

صنماً، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب. فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان وسموا طوافهم الدوار. فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعل ثلاث أثافي لقدره وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك. فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها يحجونها ويعتمرون إليها.

(ابن الكلبي، الأصنام، ليبزج ١٩٤١، ص ١٧-٢١)

يزيد والعبادلة

قال هشام بن محمد [عن أبي مخنف]: ولي يزيد في هلال رجب سنة ٦٠ وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، وأمير البصرة عبيدالله بن زياد، وأمير مكة عمر بن سعيد بن العاص. ولم يكن ليزيد همه حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وأنه ولي عهده بعده والفراغ من أمرهم فكتب إلى الوليد: «بسم الله الرحمن الرحيم، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكن له فعاش بقدر ومات بأجل فرحمه الله، فقد عاش محموداً ومات براً تقياً والسلام». وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة: «أما بعد، فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام.» فلما أتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه فبعث إلى مروان ابن الحكم فدعاه إليه، وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارهاً فلما

رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فحبس عنه مروان وصرمه فلم يزل كذلك، حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد. فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه فلما قرأ عليه كتاب يزيد استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد في الأمر وقال: كيف ترى أن نصنع؟ قال: فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب وأظهر الخلاف و المنابذة ودعا إلى نفسه لا أدري، أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال ولا يحب أنه يولى على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفواً، فأرسل عبدالله بن عمرو بن عثمان - وهو إذ ذاك غلام حدث - إليهما يدعوهما فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجيبا الأمير يدعوكما، فقالا له: انصرف الآن نأتيه. ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال عبدالله بن الزبير للحسين: ظُن فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها. فقال حسين: قد ظننتُ أرى طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا في الناس الخبر، قال: وأنا ما أظن غيره، قال: فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه ثم دخلتُ عليه، قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت، قال: لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر. فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتحموا علي بأجمعكم وإلا فلا تبرحوا حتى

أخرج إليكم، فدخل فسلم عليه بالأمرة ومروان جالس عنده. فقال حسين كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة أصلح الله ذات بينكما، فلم يجيباه في هذا بشيء وجاء حتى جلس فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة. فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية وعظم لك الأجر أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية، قال: أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه. احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين فقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت وأثمت، ثم خرج فمر بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله. فقال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً، قال الوليد: وبخ غيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً، سبحان الله أقتل حسيناً إن قال لا أبايع والله إني لأظن امرأ يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة، فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه. واما ابن الزبير فقال: الآن آتيكم ثم أتى داره فكمن فيها، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرزاً فألح عليه بكثرة الرسل والرجال في أثر الرجال. أما حسين فقال: كف حتى تنظر وننظر وترى ونرى، واما ابن الزبير فقال: لا تعجلوني فإني آتيكم أمهلوني، فألحوا عليهما عشيتهما تلك وأول ليلهما وكانوا على

حسين أشد إبقاء. وبعث الوليد إلى ابن الزبير مولى له فشتموه وصاحوا به: يا ابن الكاهلية والله لتأتين الأمير أو ليقتلنك، فلبث بذلك نهاره كله وأول ليله يقول: الآن أجيء، فإذا استحثوه قال: والله لقد استربت بكثرة الإرسال وتتابع هذه الرجال فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وأمره، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال: رحمك الله كف عن عبدالله فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك وهو آتيك غداً إن شاء الله فمر رسلك فلينصرفوا عنا، فبعث إليهم فانصرفوا. وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفُرع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب و توجه نحو مكة، فلما أصبح بعث إليه فوجده قد خرج، فقال مروان: والله إن أخطأ مكة فسرح في أثره الرجال، فبعث ركباً من موالي بني أمية في ثمانين راكباً فطلبوه فلم يقدروا عليه فرجعوا فتشاغلوا عن حسين بطلب عبدالله يومهم ذلك حتى أمسوا. ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفوا عنه تلك الليلةِ ولم يلحوا عليه، فخرج حسين من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠هـ، وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة خرج ليلة السبت فأخذ طريق الفرع، فبينا عبدالله بن الزبير يساير أخاه جعفر إذ تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي:

وكل بني أم سيمسون ليلة ولم يبق من أعقابهم غير واحد

فقال عبدالله: سبحان الله ما أردتَ إلى ما أسمع يا أخي؟ قال: والله يا أخي ما أردت به شيئاً مما تكره، فقال: فذاك والله أكره إلي أن يكون جاء على لسانك من غيرتعمد، قال وكأنه تطير منه. أما الحسين فإنه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له: يا أخي أنت أحب الناس إلي

وأعزهم علي ولست أذخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنحّ بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعُهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك وطائفة عليك فيقتتلون وتكون لأول الأسنة فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً، قال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك وإن نبت بك لحقت بالرحال وشعف الجبال وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى مايصير أمر الناس وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما يكون رأياً وأحزمه عملاً حتى تستقبل الأمور استقبالاً ولا تكون عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً، قال: يا أخي قد نصحت فأشفقت فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً.

(الطبري، ج٢ ص ٢١٦-٢٢١)

زيد بن علي

أما هشام بن محمد الكلبي، فإنه ذكر [أن أبا مخنف حدثه] أن أول أمر زيد ابن علي كان أن يزيد بن خالد القسري ادعى مالاً قِبَل زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبدالله بن العباس... فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبدالملك، وزيد بن علي يومئذ بالرصانة يخاصم بني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في صدقة رسول الله ﷺ

ومحمد بن عمر بن علي يومئذ مع زيد بن علي، فلما قدمت كتب يوسف بن عمر على هشام بن عبدالملك بعث إليهم فذكر لهم ما كتب به يوسف بن عمر إليه مما ادعى قبلهم يزيد بن خالد فأنكروا، فقال لهم هشام: فإنا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينهم، فقال له زيد: أنشدك الله والرحم أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر، قال: وما الذي تخاف من يوسف بن عمر، قال: أخاف أن يعتدي ابن علي، قال هشام: ليس ذلك له. ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر: أما بعد فإذا قدم عليك فلان وفلان فاجمع بينهم وبين يزيد بن خالد القسري فإن هم اقروا بما ادعى عليهم فسرح به إلي، وإن هم أنكروا فسله بينة فإن هو لم يقم البينة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم يزيد بن خالد القسري وديعة ولا له قبلهم شيء ثم خل سبيلهم.

فقالوا لهشام: إنا نخاف أن يتعدى كتابك ويطول علينا، قال: كلا أنا باعث معكم رجلاً من الحرس يأخذه بذلك حتى يعجل الفراغ، فقالوا: جزاك الله والرحم خيراً لقد حكمت بالعدل. فسرح بهم إلى يوسف واحتبس أيوب بن مسلمة لأن أم هشام بن عبدالملك ابنة هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وهو في أخواله، فلم يؤخذ بشيء من ذلك القرف.

فلما قدموا على يوسف فأدخلوا عليه فأجلس زيد بن علي قريباً منه وألطفه في المسألة ثم سألهم عن المال فأنكروا جميعاً وقالوا: لم يستودعنا مالاً ولا له قبلنا حق، فأخرج يوسف يزيد بن خالد إليهم فجمع بينه وبينهم وقال له: هذا زيد بن علي وهذا محمد بن عمر بن علي وهذا فلان وفلان الذين كنت ادعيت عليهم ما ادعيت، فقال: ما لي قبلهم قليل ولا كثير، فقال يوسف: أفبي تهزأ أم بأمير المؤمنين؟ فعذبه يومئذ عذاباً ظن أنه قد قتله، ثم أخرجهم إلى المسجد

بعد صلاة العصر فاستحلفهم فحلفوا له وأمر بالقوم فبسط عليهم ما عدا زيد بن علي فإنه كف عنه فلم يقتدر عند القوم على شيء. فكتب إلى هشام يعلمه الحال فكتب إليه هشام أن استحلفهم وخل سبيلهم، فخلى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بن علي بالكوفة.

قال هشام بن محمد الكلبي [عن أبي مخنف]: فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد بن علي وتأمره بالخروج ويقولون: إنا لنرجو أن تكون المنصور وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية. فأقام بالكوفة فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال: هو ها هنا فيبعث إليه أن أشخص، فيقول: نعم ويعتل له بالوجع، فمكث ما شاء الله ثم سأل أيضاً عنه فقيل له: هو مقيم بالكوفة بعد لم يبرح، فبعث إليه فاستحثه بالشخوص فاعتل عليه بأشياء يبتاعها وأخبره أنه في جهازه. ورأى جد يوسف في أمره فتهيأ ثم شخص حتى أتى القادسية، وقال بعض الناس: أرسل معه رسولاً حتى بلّغه العذيب فلحقته الشيعة فقالوا له: أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسيافهم غداً وليس قبلك من أهل الشام إلا عدة قليلة، لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكلفتكهم بإذن الله تعالى فننشدك الله لما رجعت، فلم يزالوا به حتى ردوه إلى الكوفة.

قال: فرجع زيد إلى الكوفة فاستخفى. قال: فقال له محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب، حيث أراد الرجوع إلى الكوفة: أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه فإنهم لا يفون لك، فلم يقبل منه ذلك ورجع.

قال هشام: [قال أبو مخنف:] فأقبلت الشيعة لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه ويبايعون له حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً إلا أنه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين، ثم أقبل إلى الكوفة فأقام بها وأرسل إلى أهل السواد وأهل الموصل رجالاً يدعون إليه. قال: وتزوج حيث قدم الكوفة ابنة يعقوب بن عبدالله السلمي أحد بني فرقد وتزوج ابنة عبدالله بن أبي العنبس الأزدي.

قال: وكان زيد بن علي ينزل بالكوفة منازل شتى في دار امرأته في الأزد مرة ومرة في أصهاره السلميين ومرة عند نصر بن خزيمة في بني عبس ومرة في بني غُبَر ثم إنه تحول من بني غُبر إلى دار معاوية بن إسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري في أقصى جبانة سالم السلولي وفي بني نهد وبني تغلب عند مسجد بني هلال بن عامر. فأقام يبايع أصحابه، وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا، أتبايعون على ذلك؟ فإذا قالوا نعم وضع يده علي أيديهم، ثم يقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن لي في السر والعلانية، فإذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال: اللهم اشهد. فمكث بذلك بضعة عشر شهراً فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ فجعل من يريد أن يفي ويخرج معه يستعد ويتهيأ فشاع أمره في الناس.

ذكر هشام [عن أبي مخنف] أن زيد بن علي لما أمر أصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد أخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك فانطلق

سليمان بن سُراقة البارقي إلى يوسف بن عمر فأخبره خبره وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له: عامر، وإلى رجل من تميم يقال: له طُعمة ابن أخت البارق وهو نازل فيهم، فبعث يوسف يطلب زيد بن علي في منزلهما فلم يوجد عندها وأخذ الرجلان فأتى بهما فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه، وتخوف زيد بن علي أن يؤخذ فتعجل قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة... قال: فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد وأنه يدس إليه ويستبحث عن أمره اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم فقالوا: رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم؟ فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين وإن القوم استأثروا علينا ودفعوه عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟ فقال إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ فإن أنتم أجبتمونا سعدتم وأن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل. ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا: سبق الإمام. وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام وكان قد هلك يومئذ، وكان ابنه جعفر بن محمد حياً فقالوا: جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالأمر بعد أبيه ولا نتبع زيد بن علي فليس بإمام، فسماهم زيد الرافضة، فهم اليوم يزعمون أن

الذي سماهم الرافضة المغيرة حيث رافقوه. وكانت طائفة منهم قبل خروج زيد مروا إلى جعفر بن محمد بن علي فقالوا له: إن زيد بن علي فينا يبايع، أفترى لنا أن نبايعه؟ فقال لهم: نعم بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا فجاؤوا فكتموا ما أمرهم به.

قال: واستتب لزيد بن علي خروجه فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢هـ. وبلغ يوسف بن عمر أن يزيداً قد أزمع على الخروج فبعث إلى الحكم بن الصلت فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلهم المسجد ثم نادى مناديه ألا إن الأمير يقول من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمة، ادخلوا المسجد الأعظم، فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم. وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري فخرج ليلاً وذلك ليلة الأربعاء في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن إسحق، فرفعوا الهراوي فيها النيران ونادوا: يا منصور أمت أمت يا منصور، فكلما أكلت النار هروياً رفعوا آخر فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر، فلما أصبحوا بعث زيد بن علي القاسم التنعي ثم الحضرمي ورجلاً آخر من أصحابه يناديان بشعارهما فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي فشدوا عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذي كان مع القاسم التنعي وارتُث القاسم فأتى بن الحكم فكلمه فلم يرد عليه شيئاً فأمر به فضربت عنقه على باب القصر، فكان أول من قتل من أصحاب زيد بن علي هو وصاحبه. وأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت وغُلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة، وعلى أرباع الكوفة يومئذ على ربع أهل المدينة إبراهيم بن عبدالله بن جرير البجلي، وعلى مذحج

وأسد عمرو بن أبي بذل العبدي، وعلى كندة وربيعة المنذر بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وعلى تميم وهمدان محمد بن مالك الهمداني ثم الخيواني. قال: وبعث الحكم بن الصلت إلى يوسف بن عمر فأخبره الخبر فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشام: من يأتي الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتيني بخبرهم؟ فقال جعفر بن العباس الكندي: أنا، فركب في خمسين فارساً ثم أقبل حتى انتهى إلى جبانة سالم السلولي فاستخبرهم ثم رجع إلى يوسف بن عمر فأخبره فلما أصبح خرج إلى تل قريب من الحيرة فنزل عليه ومعه قريش وأشراف الناس، وعلى شرطته يومئذ العباس بن سعيد المزني فبعث الريان بن مسلمة الأراشي في ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجالاً معهم النشاب، وأصبح زيد بن علي فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلاً، فقال زيد: سبحان الله أين الناس؟ فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون، فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر.

وأقبل زيد بن علي من جبانة سالم حتى انتهى إلى جبانة العائديين وبها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد بن علي فيمن معه فهزمهم.

قال: وانتهى زيد بن علي إلى باب دار رجل من الأزد يقال له: أنس بن عمرو وكان فيمن بايعه فنودي وهو في الدار فجعل لا يجيب فناداه زيد: يا أنس اخرج إلي رحمك الله، فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فلم يخرج إليه، فقال زيد: ما أخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم.

قال: وأقبل زيد بن علي وقد رأى خذلان الناس إياه فقال يا نصر بن خزيمة أخاف أن يكونوا قد جعلوها حسينية، فقال له: جعلني الله لك الفداء أما أنا فوالله لأضربن معك بسيفي هذا حتى أموت فكان قتاله يومئذ بالكوفة. ثم إن

نصر بن خزيمة قال لزيد بن علي: جعلني الله لك الفداء إن الناس في المسجد الأعظم محصورون فامض بنا نحوهم فخرج بهم زيد نحو المسجد فمر على دار خالد بن عُرفطة، وبلغ عبيد الله بن العباس الكندي إقباله فخرج في أهل الشام وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص فكعّ صاحب لواء عبيدالله وكان لواؤه مع سلمان مولاه، فلما أراد عبيدالله الحملة ورآه قد كعّ عنه قال احمل يا بن الخبيثة فحمل عليهم فلم ينصرف حتى خضب لواءه بالدم، ثم إن عبيدالله برز فخرج إليه واصل الحناط فاضطربا بسيفهما فقال للأحول خذها مني وأنا الغلام الحناط وقال الآخر: قطع الله يدي إن كلتَ بقفيز أبداً ثم ضربه فلم يصنع شيئاً وانهزم عبيدالله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا إلى دار عمرو من حريث. وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا من الذل إلى العز، اخرجوا إلى الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولا دنيا فأشرف عليكم أهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها، وقيل: في جبانة سالم وانصرف الريان بن سلمة إلى الحيرة عند المساء وانصرف زيد بن علي فيمن معه وخرج إليه ناس من أهل الكوفة فنزل في دار الرزق.

(ثم يتابع المناوشات إلى استشهاد زيد ص ١٧٠٦-١٧١١)

(الطبري ج٢، ص١٦٦٨-١٦٧٠، ص١٦٧٦-٧؛ ص١٦٨٥-١٦٨٨؛ ص١٦٩٨-١٧٠٦)